إفريقيا – هل ثمة أمل

في الأخبار أن رئيس وزراء إسرائيل يهود اولمرت الذي يقضي في السجن خمس سنوات ، تقوم إدارة السجن ببناء جناح له يتناسب ووضعه – ورئيس وزراء ايطاليا السابق برسكلوني والذي هو من أغني أغنياء العالم ، يقضي عقوبة في السجن بتهم التحرش والتهرب من الضرائب ، في العمل الاجتماعي في خدمة دور المسنين – ومع ذلك تسير الحياة في إسرائيل وايطاليا – ولكن حينما فقد بعض الرؤساء الأفارقة السلطة انهارت الدولة ودخلت البلد في مرحلة اللاعودة – حالة الرئيس محمد سياد بري في الصومال وانهيار الدولة الصومالية واليمن بعد الرئيس على عبدالله صالح ، والعراق بعد صدام حسين ، وليبيا بعد الرئيس القذافي وغيرها وغيرها.

وهذا يطرح سؤال ، لماذا سقوط الحكومات وتبدلها في الغرب لا يؤثر على حركة الدولة وانتظامها بينما تكون الدولة وأجهزتها معلق أمرها بالحاكم– والإجابة بسيطة الدول المتقدمة تعرف المؤسسة وحكم المؤسسات وتعرف الحكومة فصمام الأمان الحكومة بمؤسساتها وأجهزتها ، بينما في بلادنا ليس هناك حكومة إنما هناك حاكم وحينما ينهار الحاكم تتداعي معه الأشياء .

وحينما نتكلم عن حكومة ، إنما نتكلم عن مسئولية تضامنية وتنصارية / أعمدتها المؤسسة التنفيذية والتشريعية والقضائية – تقوم على دستور ودستورية – وحينما اغتيل رئيس وزراء السويد قبل نحو عقدين وهو خارج من احد دور السينما ، لم يتغير شيء في نظام الدولة وأصبحت قضية اغتيال الرئيس مجرد ملف من ملفات الشرطة ولكن حينما اغتيل لوممبا في الكنغو دخلت الكنغو في حريق الحرب الأهلية والذي تجدد بعد شيخوخة موبوتو سيسكو وفرق بين الكنغو والسويد، فالكنغو لم يعرف الديمقراطية والمواطنة والانتخابات وحقوق الإنسان إلا جزئيا وبعد عام 1957م. بينما كانت هذه ركائز الحكم في السويد منذ مئات السنين . وحينما بدأ الأهالي في الكنغو يتطلعون للاستقلال عام 1960 كان فقط 135 طالبا قد أكملوا دراستهم الثانوية – ولم يك بين الأهالي لا أطباء أو مهنيين أو حتي ضباط جيش أو شرطة مؤهلين . وحينما تم الإطاحة بلوممبا في 30 يونيو 1960 ، كان عماد الجيش الكنغولي ألف ومائة ضابط (1100)بلجيكي وكان أعلى رتبة لضابط من الأهالي هو ضابط الصف " جاويش " موبوتو سيسكو فتم إهداؤه عرش الكنغو حتى تستمر الشركات الاستعمارية في مص خيرات الكنغو – وإن كانت مصر هي

أحسن حالة عربية وإفريقية لأن مصر عرفت الفرعون قبل آلاف السنين ، إلا أنها تظل إلي يومنا هذا بلا مؤسسات وبلا دستورية ، وحينما اغتيل السادات تم إحالة عرش مصر وكنوزها إلي ضابط كان جل حلمه أن يصبح ملحقا عسكريا أو رئيسا لمجلس إدارة شركة مصر للطيران ، وحينما انتخب الرئيس السابق محمد مرسي ، نال اثني عشر مليون صوت إلا أنه حينما أطيح به لم يبك عليه إلا بضع عشرات من الآلاف أقاموا عليه مناحة ضخمة ومأتما كبيرا في رابعة العدوية ثم فض المناحة بالجرافات والدبابات .

ونماذج الحكم في إفريقيا ، مقرفة فالرأس تفري أي الإمبراطور هيلاسلاسي ظل إمبراطور لمدة 42 عاما ولكن في عام 1974م انتهت أمره مدفونا في دورة المياه في قصره – وفي ساحل العاج تربع فليكس هوفيه في الحكم 34 عاما ومات على كرسيه وعمره 88 عاما واكبر انجازاته أنه بنى أكبر كنيسة " كاتدرائية " في إفريقيا في بلد معظم سكانه من المسلمين ، وفي الجابون تربع عمر بنقو 42 عاما على العرش ليستلمها منه ابنه .

وحينما اغتيل الجنرال جوفينال هيبارامادن رئيس رواندا وهو من الهوتو كانت حرب الإبادة التي تورط فيها موسفيني وكوجامي ، وفي عام 1980 قام ضابط صف أمي يسمي صوميل دو بالإستيلاء على كنوز ليبيريا وحكومتها وركعت له السفارات الأجنبية في العاصمة منورفيا ، أما نيجيريا فحدث ولا حرج ففي فترة الرئيس السابق كود لك **Good Luck** اختفت على حد قول الطالب النيجيري السابق بجامعة إفريقيا لاميدو سنوسي والذي أصبح محافظا لبنك نيجيريا المركزي عشرين بليون دولار في ظرف سنوات اربع – لايعرف حد اين ذهبت – وبعض بلاد إفريقيا تشتري لاعبي الكورة بملايين الدولارات بينما منازلها بدون مياه أو كهرباء وقلت لبعض أصدقائي – إذا استمر هدر الأموال والطاقات بهذه الصورة ولم تستعد لمطلوبات المستقبل فبعد نحو خمسة عشر عاما ستنتظم أوربا في تنظيم السياحة للقمر بينما ستعود بعض عواصم إفريقيا لعصر الحجر في الطهارة، وسيتناجي أهلها في مطلوبات الاستنجاء والاستجمار وهل يجوز استعمال الحجر أكثر من مرة – وكيف لا ؟ حينما يتم شراء نجوم الكرة بالملايين وتستكثر الملاليم على إقامة محطات المياه ومد الأنابيب .

والسلام ..

حسن مكي